قصة قصيرة

انتحار

أم كلثوم بنت أحمد

كنت أظن أن الفجر لن يلوح بعد ذلك المساء، وأن نسائمه لن تتهادى، وأن الشمس لن تظهر، وأن زلزالاً سيضرب المدينة فلا يبقى منها سوى الأنقاض يتصاعد منها الدخان..

لأنني كنت قد انتحرت في ذلك المساء، نعم انتحرت.

لكن الفجر لاح.. وجاءت نسائمه لطيفة ندية.. وظهرت الشمس أكثر إشراقاً.. فخرجت إلى الشارع الرئيسي في المدينة أستطلع أصداء انتحاري..

كنت أمشي بخطوات موقعة في تيه وصلف وأنا أنتظر أن أسمع صراخ المارة وأن أرى جمهرة.. لكن أحداً لم يعرني أي اهتمام. كل كان يمضي في حال سبيله..

واصلت المسير إلى أن قاربت كابين الهاتف... وقفت عند الباب محدثة ضجة بنعلي..

رفع عامل الهاتف عينيه الجاحظتين: (ما ألذ الفزع في هاتين العينين!) أشار بيده إلى الهاتف وقال:

ـ تفضلي..

لم أتحرك من مكاني.. جالت عيناي قليلاً بين الأرقام المثبتة على جهاز الهاتف بدأ يقلق وهمّ أن يشير مرة أخرى، فقاطعته:

ـ لقد انتحرت المساء الماضي!

أخذت عيناه أكبر مكان من وجهه وهبّ واقفاً.

(ذاك ما كنت أبغي، ما ألذّ الفزع في هاتين العينين!).

خرجت مسرعة ومحفظتي تهتز إلى جانبي. قاربت محطة البنزين وتوقعت أن أرى شيئاً غير عادي هناك، لكني رأيت عامل البنزين يعبىء السيارات كآلة، وبائعة الفستق نائمة والذباب يعشّش في زوايا فمها.

هل أنا رخيصة إلى هذا الحدّ؟... يستكثرون عليّ بعض التجمهر؟ وللحظة شككت في انتحاري.. لكنني تذكرته لحظة لحظة..

حينما قررت.. حينما اشتريت الخنجر الحادّ... وحينما غرزته بكل قوة في قلبي... وحينما انبجس الدم في كل اتجاه...

إذن لقد انتحرت فعلاً... أحسست بلذة غامرة لذلك.. وتهاديت في الشارع كعارضة أزياء باريسية.. لكن لا أحد يشهق... لا أحد تتسع عيناه!

هل أصبح الانتحار مسألة عادية لا تستحق أن تستوقف الناس؟

رأيت مجنون المحطة مسنداً ظهره على الحائط يتأمل.. اتجهت ناحيته... لم يفطن لوجودي أو هكذا خيّل إليّ، كان يركز نظره على مكان محدد من الإسفلت، جلست القرفصاء حتى أتبين ما ينظر إليه.. سحلية صغيرة ميتة وحشود من النمل نقوم بتأبينها. وأصابتني العدوى ووجدتني أركز نظري عليها. وبعد مدة رفع إلى عينيه وقال:

ـ مبروك.

فقلت: على ماذا؟

ـ على ماذا؟ على انتحارك أمس.

فقلت وأنا أرتجف من الفرح:

ـ كيف عرفت؟

ضحك عن أسنان صفراء متسخة حتى كاد أن يستلقي على قفاه ونظر إلى صدري وهو يغمض إحدى عينيه.

ـ الخنجر ما زال مغروساً في صدرك والدم مازال ينزف وتقولين: كيف عرفت؟

فقلت وأنا ألهث:

ـ لأني منذ الصباح الباكر أنا أتجول ولم يفطن لي أحد حتى أنني شككت في انتحاري.

ـ إنهم مجانين... سكان هذه المدية البلهاء مجانين.. غداً يتشعّث شعرك مثلي وتطول أظافرك وتتسخ... وتتقطع ثيابك وتبلى... عندها ستفهمين أن كل الناس مجانين، كل الناس إلا أنا وأنت.